

أبعاد العنف السياسي في رواية الأعظم لإبراهيم سعدي

« Dimensions of political violence in Saadi's novel The greatest

حضري فاطمة الزهراء

جامعة تيسمسيلت-أحمد بن يحيى الونشريسي - hfatemazohra@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/04

تاريخ الاستلام: 2025/03/19

ملخص:

إذا كان أحد أشكال العنف، وهو العنف السياسي بغرض الاستحواذ على السلطة - على حد تعبير الزواوي بغوره- فإن رواية (الأعظم) للروائي الجزائري "إبراهيم سعدي" تعدّ نموذجاً مميزاً لتجسيد هذا النوع من العنف في مختلف أبعاده السياسية والدينية والثقافية والفنية، يظهر هذا التجسيد من خلال شخصية الأعظم الديكتاتور (لazar كلوك) ، بوصفه الصورة النموذجية للحاكم المستبد، والذي مارس الاستبداد بغرض السيطرة على المواطنين والتحكم في المجتمع حتى يكون غير قادر على التمرد والثورة عليه، ومحاربة كل الأفكار التي تصب في دائرة المقاومة السياسية.

كلمات مفتاحية: العنف السياسي، الأعظم، إبراهيم سعدي

Abstract: :

If one form of violence, which is political violence aimed at seizing power - to use the expression of Zawawi Boughoura - then the novel "The Greatest" by the Algerian novelist Ibrahim Saadi is a distinctive model for embodying this type of violence in its various political, religious, cultural, and artistic dimensions. This embodiment is evident through the character of the dictator "Al-Azam" (Lazar Klouk), as the epitome of the tyrannical ruler who practiced despotism in order to control the citizens and manipulate society to the extent that they are unable to rebel and revolt against him, and to combat all ideas that fall within the circle of political resistance

Keywords: Political violence, The Greatest, Ibrahim Saadi

1. مقدمة:

تعدّ الرواية السياسية من أبرز الأشكال الأدبي التي تعنى برصد التحولات السياسية والاجتماعية في المجتمعات، حيث تجسّد التوترات والاضطرابات التي يمرّ بها الأفراد والجماعات تحت تأثير الأنظمة السياسية المختلفة. وقد أشار الناقد طه وادي في كتابه الرواية السياسية إلى أنّ الرواية العربية المعاصرة اهتمت: "بكثير من القضايا السياسية، وبيان مدى تأثيرها على حياة الناس. بناء على ذلك ظهر ما يُعرف باسم «الرواية السياسية» political novel وهي الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي"¹

في هذ السياق، شكّلت ظاهرة العنف السياسي موضوعاً أساسياً في العديد من الروايات العربية، حيث عكست هذه الأعمال التناقضات السياسية وتجليات القمع والاستبداد. وقد أشار الكاتب إلى رواية "خريف البطريك" لماركيز باعتبارها نموذجاً في وصف "آليات القمع ورسمت شخصية الديكتاتور، وقدمت جوانب دقيقة من حياته ونفسيته وأفكاره نعر في الرواية العربية منذ مرحلة سبعينيات القرن العشرين، على انعكاسات واضحة لظاهرة الديكتاتور، بالأخص في روايات عبد الرحمن منيف في شرق المتوسط التي كتبها عام (1972)، ونشر مدن الملح كما لم تخلُ رواية العصفورية لغازي القصيبي من الإشارة إلى موضوع التسلط العربي وشخصية الديكتاتور ..."²

بناء على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل رواية الأعظم للروائي الجزائري "إبراهيم سعدي الصادرة عن دار فضاءات عام 2017 من خلال استكشاف تمثيلات العنف السياسي في بنيتها السردية وشخصياتها: "الرواية السياسية... وجهة نظر سياسية قضية رئيسية فيها"³. تطرح الرواية تساؤلات عميقة حول طبيعة السلطة والاستبداد، حيث تسرد رحلة بطلها الذي يسعى إلى الوصول إلى الحكم بأي وسيلة. متجاوزاً كل الحدود الديمقراطية، ليتحوّل إلى الحاكم المطلق الذي يفرض سيطرته على الدولة بكاملها. ومن

خلال تطور الشخصية، تتناول الرواية ظاهرة الطاعة والاستبداد متسائلة: هل يؤدي الاستبداد إلى استعباد الشعوب؟ وما الثمن الذي يدفعه المواطن حين تسلب حريته؟ من خلال هذه الإشكالات، يطرح البحث التساؤل الرئيسي التالي: كيف تمثلت ظاهرة العنف السياسي في رواية الأعظم وما الأبعاد المختلفة التي تجلّت من خلالها. وللإجابة عن هذا السؤال، نفترض أنّ الرواية تجسّد العنف السياسي عبر آليات متعدّدة، منها القمع الجسدي، والاستبداد الفكري، والهيمنة على مؤسسات الدولة. كما نفترض أنّ الكاتب سعى من خلال هذه الرواية إلى تقديم نقد سياسي للاستبداد، مستخدماً السرد الأدبي كوسيلة لفضح بنية السلطة القمعية. يهدف هذا البحث إلى:

1. تحليل أبعاد العنف السياسي في الرواية من خلال شخصياتها وأحداثها.
 2. استكشاف العلاقة بين السلطة والاستبداد في النص السردى
 3. إبراز دور الرواية السياسية في نقد الأنظمة القمعية
- تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي حيث يتم تفكيك البنية السردية والشخصيات ودراسة الرموز التي تعكس العنف السياسي داخل الرواية مع الاستناد إلى آراء النقاد والمفكرين في هذا المجال.
- بهذا يسعى البحث إلى تقديم قراءة نقدية لرواية الأعظم بوصفها نموذجاً للأدب السياسي الذي يعرّي بنية السلطة ويكشف أوجه القمع
- إذا كان أحد أشكال العنف، وهو العنف السياسي بغرض الاستحواذ على السلطة -على حد تعبير الزواوي بغوره- فإنّ رواية (الأعظم) للروائي الجزائري "إبراهيم سعدي" تعدّ نموذجاً مميّزاً لتجسيد هذا النوع من العنف في مختلف أبعاده السياسية والدينية والثقافية والفنية، يظهر هذا التجسيد من خلال شخصية الأعظم الديكتاتور (لزهر كلوك) الذي يجسّد الحاكم المستبد، الذي مارس الاستبداد بغرض السيطرة على المواطنين والتحكم في المجتمع لمنع أي محاولة للتمرد أو الثورة عليه. يتجلى ذلك في ألقابه التي تتعدد لتؤكد احتكاره

: "الأعظم، رئيس الدولة، رئيس الحزب الوحيد، رئيس المجلس الثوري للإنقاذ الوطني، القائد الأعلى للقوات المسلحة، رب كل شيء في المنارة"⁴ فبهذه الألقاب، يكشف النص كيف يتحكم الحاكم المطلق في كل عناصر الحكم، سواء السياسية أو العسكرية، محولا الدولة بأسرها إلى أداة طيعة بين يديه: "نجح...في تحويل مدينة بأسرها بل ودولة بكاملها بمواطنيها الذين كانوا من قبل أحرارا، إلى آلة ضخمة طوع يديه... أن تستأصل كل استقلالية وأن تصدر حرية التفكير لصالح عقيدة وحيدة، عقيدته. كل مصادر السلطة في المدينة والدولة خضع لسلطانه، الإدارات بكاملها والتراخيص كافة: مجلس المدينة، المجمع الديني، المحاكم والجامعة، الشؤون المالية والأخلاقية... المدارس، السلطة، السجون، الكلمة المكتوبة والمحكية بل والمهموسة سرا...كل من يجرؤ على إبداء أدنى اعتراض مصيره النفي أو السجن أو الحرق، وهي أحكام غير قابلة للنقاش كما في كل ديكتاتورية..⁵ إنَّ هذا النمط من الحكم القائم على الإخضاع التام، يجد تفسيره في كتاب الكتابة على أطراف النهر الذي يشير إلى أنَّ: "الدولة الأمنية على سياسة الخوف فهي وسيلة لإدامة عمر نظام سياسي، ولعل اللجوء إلى معاقبة الخارجين عن الطاعة أو المشتبه في نقص وطنيتهم هو لأجل إفشاء هذا الجو المريب، والسيطرة على الشعب"⁶ وهذا ما يتجسّد في الرواية من خلال الرقابة المطلقة على حرية التفكير والتعبير، حيث تخضع كافة مؤسسات الدولة لسلطة الأعظم، من المحاكم إلى الجامعات وحتى الشؤون المالية ويصبح أي اعتراض مبررا للنفي أو السجن أو الحرق.

وفي هذا السياق، يربط هومي ك.بابا بين الثقافة والاستبداد، موضحا أنّها: "أنَّ السلطة إذا ما كان مصدرها الذي ينبغي الاعتراف به ينكر كلا من العقول المناوئة والاحكام الشخصية"⁷ مما يجعل أي محاولة للتمرد خطرا على النظام، يستوجب القمع والاستئصال، محولا الدولة إلى فضاء خاضع لسلطته المطلقة، حيث يصبح كل نقد سياسي مبررا للعقاب، وكل محاولة للخروج عن السائد تهديدا له.

2. . الأبعاد الاجتماعية والدينية للغف السياسي في رواية الأعظم

1.2 العنف السياسي والصراعات في رواية الأعظم تأثيراته على المجتمع والشخصيات

العنف السياسي الذي يتجلى في الرواية الصراع والحروب كذلك التصنيفات الجسدية والاعتقالات من أجل السلطة يعدّ محورا أساسيا في رواية الأعظم لإبراهيم سعدي. تعكس الرواية بعمق الصراع والظلم السياسي الذي يعيشه شعب المنارة من خلال الأنظمة والقوانين الديكتاتورية: التي تفرض هيمنتها على الشخصيات بالقوة. يعالج الكاتب الطرق التي استخدم بها الأعظم العنف كأداة يبرز فيها غايته و تحقيق السيطرة أو السلطة. وكيف يتحول العنف إلى أداة قمع وإخضاع لشعب المنارة. يبرز كيفية تأثير الصراع على الانتماء والقيم العليا ويستكشف تأثيراته النفسية والاجتماعية للعنف على الشخصيات، إذ بدأ السرد بما جرى من وقائع حول موت الأعظم تناسب وفترة المأزق السياسي التي عانت منه البلاد مع الجماعات الإسلامية المتطرفة إذ نال بعد الاستقلال منصب الحاكم له المشيئة المطلقة في استعباد الرعية، وكيف أنّ الآخرين المناضلين يتحولون إلى أعداء يحاربهم ويحارب من يؤيدون آرائهم ومواقفهم المناوئة للسلطة، يبدو فيها هؤلاء بين الرفض والإقصاء والعزل عن أداء المهام الوطنية؛ لا تصبح لهم القدرة على المبادرة والتغيير (يبقون في الهامش)، تجلّى ذلك بعلاقة الحاكم الأعظم بنور الدين سطورا ، إيمان زكورة (الشاعر) صاحب القصيد، وغيره من السياسيين

تتبدّى فيها المدينة والوطن بوشاح الحزن والألم والحسرة يخترق اليأس آمالها وهي على رصيف لا تجيب عاجزة مقعدة لا تروم بالنهوض. كذلك صوّر أوضاع الأفراد التي آلت طوع يديه وبرغبة المشيئة بأن تخضع له السلطات جميعا من بينها سلطة الإعلام. ويحيط الروائي الأعظم بشخصيات تدعم سياسته كأبنائه من زوجته الأولى التي طلقها زوجته. وبالمقابل شخصيات مناوئة تتاصر المبادئ العليا التي ناضلت من أجلها أثناء الثورة.

وعلى حدّ رأي لونيس في ذلك: " أنّ السياسة بهذا المعنى هي مشروع عزل الأفراد، ونفيهم داخل الخطاب الأيديولوجي الذي هو صوت المنظومة السائدة. فإذا كان الفن هو

خطاب الذكاء الفردي والإبداع غير المقيد، فإنّ السياسة هي الخطاب الذي يخلق البلادة واللامبالاة. إنّ الفن ضد السياسة، لأنّه يقظة الفرد⁸

فالمقولة تشير إلى أنّ كيف يمكن للإيديولوجيات السياسية أن تقيّد الأفراد وتعزلهم عن ممارسة حريتهم الفكرية والشخصية مما يجعلهم مسجونين داخل نظام السياسة المفروض عليهم.

": أظنّ الأعظم لم يقرأ في الواقع أي رواية أو ديوان شعر في حياته وما كان بإمكانه أن يقول شيئاً مفيداً بهذا الشأن، فما كانت الثقافة تمثل شيئاً ذا بال بالنسبة لفخامته سواء على المستوى الشخصي أو كرجل دولة، لكن ربما يمكن أن نعذر فخامته، ذلك أن مدارس الاحتلال لم تفتح له أبوابها حقيقة، سواء بالنسبة إليه أو بالنسبة لأبناء جيله، فقد كان طفلاً بائساً ... وكل ما تعلمه إنّما من الحياة ومن التجارب التي توصل من خلالها إلى الاعتقاد بأن المرء يمكن أن يبلغ القمم دون تلك الترهات المسماة ثقافة...⁹ يقدم الكاتب صورة لهذا الأعظم أنّه على الرغم من عظّمته وسلطته في الحكم، إلا أنّه يفتقر إلى الثقافة الأدبية أو الاهتمام بها

يأخذ العنف مسارا تصاعديا- على رفض غيره من السياسيين الوطنيين:" من جانب آخر، أن كلوك ظل يمارس سياسة أخرى مع معارضيه ... إذ راح منذ البداية يزج بهؤلاء في السجون يعاملهم بقبضة من حديد، لاسيما أولئك

: الذين ما برحوا يشككون في شرعية حكمه. كان كلوك المرشح الوحيد للانتخابات الرئاسية التي لم يكن هناك من سبيل، نتيجة ذلك لكي لايفوز بها، كما منع تأسيس الجرائد وتشكيل الأحزاب، فكان ناصر شيكو ومعارضون آخرون أقل أهمية منه ... من بين من اعتقلهم كان ناصر شيكو محاميا معروفا، دافع أثناء الثورة أمام محاكم الاحتلال، عن العديد من المناضلين، واضطلع ببعض المهام في الخارج لفائدة الثورة لذلك حرم من حق المرافعة وحكم عليه بالسجن، وهو نفس السجن الذي اعتقل فيه بعد الاستقلال أقام فيه هذه المرة عاما¹⁰

تبرز السلطة المطلقة -بمحتواها الاستبدادي التهديمي- قمع حريات التفكير كمنع تأسيس الجرائد وفرض الرقابة على المناضلين، والاعتقالات والقتل والإقصاء: "الخضوع غذاء الاستبداد الأكثر أهمية. يصّر الحاكم على إخضاع الناس لبقيةهم سواسية في الضعف والامتثال أمامه. ولا بدّ لذلك من وسائل: مخبر وسجن وجلاد"¹¹ أن الاستبداد منوط بالخضوع، وهي وسيلة يبرّر فيها الحاكم غايته من الحكم إذ لا بد من استعباد العقل حتى لا يتأتى للآخرين محاربة الأعظم

2.2 العنف السياسي والدين: تبرير العنف بواسطة الدين واستخدامه لأغراض سياسية

هذه العلاقة المثيرة للجدل لأنّها ترجع إلى عوامل تاريخية وثقافية وسياسية. ومع أنّ الأديان تدعو إلى السلام والائتلاف بين الشعوب إلا أننا نجد على مر العصور أنّ العنف قد تم تبريره باسم الدين وبلغه أخرى يستخدم الدين لأغراض سياسية أو لتحقيق مصالح خاصة بالحاكم، ومن منظورهم يعتبر الآخرون تهديدا للعقيدة وخطرا عليها، بينما هم في الواقع أداة تستخدمها السلطة في إبعاد الذات الفاعلة -التي من شأنها- أن تكشف ديكتاتورية الحاكم المستبد.

وتطرق الروائي لعلاقة الأعظم بنور الدين سطورا خلال التعبير عن معارضته للحكم الديكتاتوري: "في ذلك الأسبوع رحلت أترقب خطبة صلاة الجمعة المنقولة كالعادة عبر شاشة التلفزيون، لم أكن ممن يؤدون واجب الصلاة ولا من المهتمين بخطب الأئمة لكن في ذلك الأسبوع خالفت القاعدة ورحلت أنتظر ما سوف يقوله الإمام، حتى إذا ما حلّ ذلك اليوم بقيت في البيت، أنتظر ما إذا كان نور الدين قد امتثل لأمر الأعظم أم ظل على موقفه. كانت الخطبة منقولة من جامع الرضوان، في العاصمة جامع كبير وعتيق... حين انتهت الخطبة دون أن يرد فيها ذكر الأعظم لا من بعيد ولا من قريب، لا دعاء إلى الله من أجل حمايته ولا دعوة إلى طاعته ولا شيء آخر من هذا القبيل. لقد عصا الشيخ أوامر الأعظم"¹² ومن هذا المنطلق، يعتبر نور الدين سطورا شخصية بارزة في الثورة يسعى جاهدا إلى التمسك بالمبادئ والقيم العليا ويستغل منصبه للدعوة إلى العدل معارضا بذلك

الحكم الديكتاتوري بأي وسيلة ممكنة مثل الامتناع عن ذكر الأعظم في خطب الجمعة وهو ما اعتبره صديقه علنا معصية.

تبرز الصراع بين الأعظم وسطورا على أساس الطاعة والامتثال لأوامر الحاكم؛ وهو في جوهره يعكس تناقضات اجتماعية وسياسية واقتصادية، ويراد بالدين فقط -أداة- بيد السلطة والحاكم من أجل نشر ثقافة الإذعان والاستسلام لأوامر الحاكم، وهذا كله من أجل عزل المجتمع عن المشاركة في البناء الحضاري؛ ومن الأمثلة على ذلك تجربة الأعظم مع نور الدين سطورا حيث أبقاه بعيدا عن الاجتماعات والمشاركة في الرأي: 'كانت استقالة نور الدين سطورا من منصبه الحكومي أول حدث من نوعه يقع في البلاد منذ حصولها على الاستقلال. وكما توقعت، رفض الأعظم استقالته، لكن بات نورالدين سطورا، في آن واحد، لا يدعى لحضور الاجتماعات، سواء تعلق الأمر بالاجتماعات الوزارية أو تلك الخاصة بالمكتب السياسي للحزب، أما خطب الجمعة فقد خرجت من رقابته...'¹³ يشير النص إلى أن هذه الاستقالة كانت حدثا غير معتاد في البلاد، وعلى الرغم من رفض الاستقالة إلا أنه يتعرض إلى الإهمال ولم يدع لحضور الاجتماعات الوزارية أو الاجتماعات الخاصة بالمكتب السياسي للحزب. وباختصار يعكس سياسة الديكتاتور الداخلية المعقدة في حكومته.

الفكرة أنها توظف الدين: "لأغراض سياسية له نتائج الكارثية اجتماعيا وسياسيا ونفسيا وأخلاقيا وثقافة كذلك فالاستبداد المغلف بالدين هو الاستبداد الذي يستمد شرعيته من تأويلات محددة للنصوص المقدسة، وهنا يلعب الدين دور الأفيون الذي يخدر الشعوب"¹⁴ يؤول الأمر في نهاية المطاف إلى تدجين الوعي إذ مس علاقة الأفراد بالعقيدة، وبصدد ذلك ذكر أحمد يوسف في كتابه "علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب: أن الاستبداد السياسي متشعب من الانحراف الديني ويمثل له بالثقافة الصوفية التي طمست الحرية بتقديس الطاعة العمياء للشيخ والأمراء"¹⁵

ذهب برأيه إلى أنّ الاستبداد السياسي له أبعاد أعمق من فهمنا الطبيعي له، فيحاول تحديد علاقة السلطة بالدين، وأنها كل مركز كل عنف وانحراف واستبداد واستعباد العقل والتي تمثلها الثقافة الصوفية

فالاحتماء بالوعي أنه من الممكن أن تنشأ إيديولوجية تتعاطى مع الدين من خلال السياسة - تبرّر فيها العنف والاستبداد السياسي الممارس على الشعوب على أنّه تنوير وحماية: "إنّما من الوعي ما يستحيل حصوله هو ما يمكن أن يقع"¹⁶ أي إعلاء من سقف الاحتمالات المساوية إزاء الخطاب الديني والمستجدات السياسية

أنّ الأمر لم يتم بمعزل عن تدبير السياسة في شؤون الفرد - عقيدة-تلزمه الطاعة والخضوع لأوامر الحاكم، ومن ثمّ نلمس مسرحية الأحداث اليومية في رواية الأعظم بصبغة سياسية يعلو فيها صوت المصالح العليا للأعظم كذلك ان يوظّف الزوايا في خدمة الأغراض السياسية: "كان زواج الأعظم من أمّ الخير الزواج الوحيد الذي أفاده سياسيا بمرور الوقت. كانت أم الخير ابنة شيخ الطريقة الصوفية التي تتلمذ فخامته بإحدى زواياها في طفولته بقرار والده لكنّ الأعظم وابنه المهند لم يكتشفا ما يمكن أن يجنيه من الطريقة الصوفية بفضل علاقة المصاهرة بين فخامته وشيخ الطريقة إلا بعد ظهور المكفّرين وخصوصا بعد اشتداد شوكتهم وبروز خطرهم وبالأخص بعد إقدام بعض عناصرها على تكفير الأعظم..."¹⁷ القهر لأنه ليس وليد ابن يومه وإنّما تراكمات سنين تؤدّي به إلى الرفض والعصيان على جهاز الدولة، وأكبر عدو هو ما يأتي من الداخل لأنه على دراية بالأفكار والمفاهيم المدسوسة بطعم السياسة.

هذا الجانب في شخصية الأعظم أنّه ينظر إلى الآخرين العدو والخطر المحدق بإمبراطوريته، وهنا يستعين بدوره بالزوايا، يحارب بها الأعظم الجماعات التي تهدّد أمنه واستقراره: "من يدخل في صراع مع دولة ما هو يدخل في صراع مع كل مكونات تلك الدولة. ومن يظن أنّه مستثنى من هذه المعادلة هو واهم. لا يمكن أن ينتصر الإرهاب على الدولة دون أن ينتصر على الشعب الذي تحكمه تلك الدولة... فإنّ معركة الإرهاب ليست أمنية ولا

عسكرية بل وجودية. فمن يهدم وجود الدولة يهدم كل إمكانيات الإنسان التي تعلقت باسمها¹⁸

أن ينتصر الإرهاب عن الحكومة يعني أنه أشد فتكا من الحكومة نفسها، وهو أن يثبت وجوده بالسيطرة على الشعب الذي تحكمه الدولة. فيخلص برأيه أن معركة الإرهاب معركة وجود؛ يشترط هدم كل إمكانيات الإنسان التي تعلقت بالحكومة.

3. القمع السياسي والفن في رواية الأعظم: استبعاد الوطنيين وأثر العنف على الفنان

1.3 تطورات العنف السياسي والصراعات الداخلية: علاقة الأعظم مع الثوار والجنرال صفوان:

الفكرة مفادها -أن السياسة عند المصالح الكبرى تنبذ القيم العليا والوطنية، وعلى باقي السلطات الثقافية، الدينية الاقتصادية أن تتمثل لسلطة واحدة الأعظم. وأنه أقام نفسه مركزا لا مناص منه لكل سلطة وأنه يرفض ويحارب كل مناوئ له: "شخصية حمدان كان عمله أول عملية انتحار من قبل شخصية سياسية تاريخية في البلاد بعد الاستقلال. عثر على حمدان في وضعية من يجلس إلى أريكة هي نفسها التي ظلّ قاعدا عليها أثناء زيارتي له. مرتديا زيّه العسكري القديم، ثياب الثائر السابق، طاقيته القديمة على رأسه، لقد تأثر، بالطبع جميع الرفاق بهذه النهاية... أمّا فيما يخص من تذكر اسمائهم دائما مجتمعة في طابور واحد. أعني لمين الشريف، الشيخ نور الدين سطورا وإيمان زكورة. فقد أوضحوا بأنّ حمدان أراد أن يبعث برسالة مفادها أنه مات شهيدا وأنّ الأعظم خان الثورة"¹⁹

يعلن عن فئتين أحدهما بيدي فقط تأثره البليغ بهذه النهاية، وأما الفئة الثانية فتري أنه يمرر رسالة يبلغ فيها خيانة الأعظم للثورة، وهذه الأخيرة رأى الأعظم أنه الأنسب لها أن تبقى دون عمل لها، فهذا نور الدين سطورا كانت استقالته : "من منصبه الحكومي أول حدث من نوعه يقع في البلاد منذ حصولها على الاستقلال وكما توقعت رفض الأعظم استقالته. لكن بات نور الدين سطورا في آن واحد، لا يدعى لحضور الاجتماعات الوزارية أو تلك الخاصة بالمكتب السياسي للحزب..."²⁰

تُبنى سلطته على استبعاد هؤلاء الثوار-كأن يبدو فيها هؤلاء بين الرفض أو القبول يراد بها الخضوع لأوامره. أيضا علاقته مع الجنرال صفوان: "تطورات تتعلّق بالعلاقة الفاترة، منذ الهجوم العسكري على الشاعر، بين الأعظم والقائد العام لأركان القوات المسلحة الجنرال صفوان باعلي..."²¹ يدرك أبعاد العنف السياسي المفتوح على الصراع من أجل السلطة مع الجميع مدنيين ضباطا وجنودا وجنرالات...

2.3 العنف والفن:

هذا العنوان يراد به دراسة العنف والفن؛ قصد التنويه بضرورة الفن لأنه موكل ببناء وعي فرد جديد فكريا وسلوكيا وحرية، إذ قال: «يملك الفن قوة الاختراق والتجاوز، فقد تتمكن السلطة من الفنان، لكنها لايمكن أن تقتل الفن أو أن تزج به في الأقبية المظلمة. صوت الفن هو صوت الاحتجاج المزج للسلطة»²²

أراد أن يقول أنّ الفن هو وسيلة المقاومة حتى في أحلك الظروف القمعية، فقد يتم سجن الفنان أو إخضاعه للتعذيب لكن الأفكار التي يعبر عنها الفن قادرة على اختراق الجدران وتجاوز الحدود. وصوته يعلو فوق صوت السلطة ويتحدى القمع والظلم، إذ لابدّ: "يقف الفنان على مسافة كبيرة السلطة"²³ يعلن فيها ضرورة أن يبقى الفنان على مسافة من السلطة؛ فتلك المسافة تمكنه من النظر إلى السلطة بنظرة نقدية ومن شأنها إعلاء الفن من أجل الفن أي أن يجعل من الفن وسيلة لكشف الحقائق وتبسيط الضوء على الظلم.

يُعنى الروائي بإخراج تلك العلاقة (الفنان/المستبد)، (الفن/السلطة) على نحو تآزمي تصاعدي، يعلوها صوت الرفض بدءا بعلاقة الأعظم بصديق الثورة (إيمان زكورة) وتمتد لغيره من المناوئين لصوت السلطة: "لم يعد المشاهدون يسمعون أبيات القصيد. كان الامر يتعلق في الحقيقة ببداية قصيدة تحل محل النشيد المغضوب عليه، تتفوق جودة وقوة وقدرة على التأثير، فتمحوه من ذاكرة الناس ومن ذاكرة التاريخ على أنّ مهمة ظهرت أصعب مما تصور الأعظم إذ شقّ على الشعراء لخمسة التعساء المساكين الوصول إلى كتابة قصيدة تتناغم مع لحن القصيد التاريخي النابع من قلب النار ومن روح مفعمة بالوجد والثورة. فكان الأمر محنة حقيقية بالنسبة لهم"²⁴

يعلن بدءاً عن حملة منظمة ضد إيمان زكورة وقصيدته، وأنّ الأمر يتعلق بمحاربة الكلمة التي من شأنها أن توقظ الحس الوطني. والقصد بمنع القصيد أن تقعد باضطراب الروح المفعمة بالوجد والثورة؛ أي إفراغها من محتواها الوطني الممنوحة لشعب المنارة: "كان شاعراً... ولدلالة الشعر ما يحيل على السلطة الرمزية للكلمة الاستعارية التي هي قرينة إلى لغة الأحلام، إنّها المنطقة العصيّة على السلطة القمعية بلوغها"²⁵

وهو ما يمنح الشعر القدرة على إعادة بعث الوعي بعد تغييبه، والذي يمثّل السلطة الرمزية التي تخضع أيضاً لرقابة السلطة السياسية: "...فتذكرت بالخصوص كيف أسّر لي الأعظم أيام كانت العلاقة بيني وبينه لاتزال على ما يرام، على الأرجح في السنتين أو الثلاث من الاستقلال، بأنه لا يحب قصيد إيمان زكورة. يومذاك استغربت قوله بالطبع، لأنّ الأمر لا يختلف عما لو أنّه أقر لي بأنّه لا يحب علم البلاد، مثلاً فضلاً عن أنّه كان تسنى لي أكثر من مرة، أثناء الثورة سماعه، يصدق بالقصيد بحماس فيّاض، شأنه في ذلك شأن جميع الثوار في تلك الأيام، فلماذا صار يكرهه بعد الاستقلال؟ ... أعني أن لا نحب قصيد أو أغنية أو نحو ذلك، فهذه مسألة ذوق في نهاية المطاف. لم يكن بإمكانني فهم موقفه على حقيقته.. كان من الصعب يومئذ أن يخطر في بالي أنّه يغار من قصيد إيمان"²⁶

يتسنى لنا قراءة شخصية الديكتاتور في التعبير عن خلجاته النفسية -التي بداخله- الأكثر صدقاً، والتي يبدو فيها موقف الأعظم بشأن القصيد سلبيًا وقلقًا ومضطربًا سواء -قبل وبعد الاستقلال-: "ذلك القصيد الذي ظلّ الجميع ينزله منزلة الشيء المقدّس، غير مدرك، سوى عندما بدأ جنون العظمة يستولي عليه. إلى النهاية"²⁷

أنّ الكلمة -بالنسبة للديكتاتور تعرضّ الشاعر للعقاب والإقصاء والخطر، ولا يتمّ ذلك إلاّ بقمع -ما أمكن- تلك المنطقة العصيّة من الأحلام وإخضاعها للسلطة.

4. خاتمة:

إبراهيم سعدي في روايته "الأعظم" كتاب مفتوح يكشف أبعاد العنف السياسي وأثره المدمر على المجتمعات حيث يستخدم المستبد السلطة الرابعة (الإعلام) لتضليل الوعي، ونشر الأكاذيب، وتشويه الحقائق-في حين يطارد المناوئين له بالاعتقال والتعذيب، ويقودهم نحو الموت أو الانتحار كما هو الحال مع الشخصيات مثل نور الدين سطورا، وإيمان زكورة.

إبراهيم سعدي يسعى من خلال رواية الأعظم إلى كشف طبائع المستبد الديكتاتوري يتناول فيه كيف يلاقي المعارضون للسلطة مصيرا قاتما، سواء بالتصفية الجسدية أو التهميش السياسي. كما يعزّي أسلوب النظام في إخفاء القيم الحقيقية والكذب على الشعب. مستخدما أساليب متنوعة لتحقيق الاستبداد الكامل.

يُنتج العنف السياسي في الرواية معاناة شديدة، حيث يتم استبعاد الوطنيين من المجال السياسي، مما يؤدي إلى خلق مجتمع هامشي لا يُشارك في بناء الحضارة. إلى جانب ذلك يزرع الخوف والاستسلام في النفوس، ويُحارب كل من يُعارض النظام مثل: إيمان زكورة الذي يُمثل صوت الفن المقاوم.

في النهاية، تهدف رواية الأعظم إلى تعرية الديكتاتور، ليس فقط من خلال تفكيك شخصيته النفسية، بل أيضا من خلال تقديم نموذج للأنظمة الديكتاتورية التي تستغل العنف السياسي للهيمنة. إنها دعوة المجتمعات العربية للتأمل في تجاربها المشتركة مع الحكام المستبدين، حيث يظل الفن والمقاومة الطريقة الوحيدة لمواجهة القمع والطغيان.

5. قائمة المراجع:

¹ طه وادي، الرواية السياسية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، دط، دت، ص6

² حميد عبد القادر، الروائي العربي تناول ظاهرة الدكتاتور بشكل سطحي، ت 26. فبراير. 2023،

alquds.co.uk

³ طه وادي، الرواية السياسية، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، دط، دت، ص6

⁴ إبراهيم سعدي، الأعظم، الجزائر، دار فضاءات، ط1، ، 2017 ص72

- ⁵ ستيفان زفايغ، عنف الديكتاتورية، ت: فارس يواكيم، لبنان ، دار الفرات للنشر والتوزيع، ط1، (2013)، ص14
- ⁶ لونيس بن علي، الكتابة على أطراف النهر، السيرة الكتابية للحراك، الجزائر ، دار ميم للنشر والتوزيع، (2019)، ص139
- ⁷ ابن منظور، لسان العرب، ج10، مادة (عنف)، ص304
- ⁸ لونيس بن علي، الكتابة على أطراف النهر، السيرة الكتابية للحراك، ص138
- ⁹ إبراهيم سعدي، الأعظم، ص 341-342
- ¹⁰ إبراهيم سعدي، الأعظم، ص25
- ¹¹ صالح إبراهيم، أزمة الحضارة العربية في ادب عبد الرحمن منيف، (المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1 (2004)، ص139
- ¹² إبراهيم سعدي، الأعظم، ص 98-99
- ¹³ المصدر نفسه، ص102
- ¹⁴ لونيس بن علي، كتابات على جدار الفلسفة، الجزائر، دار الوطن، ص138
- ¹⁵ أحمد يوسف، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والادب، الجزائر، منشورات الاختلاف، (2013-1434)، ص78
- ¹⁶ محمد شوقي الزين، الذات والآخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، الجزائر، (منشورات الاختلاف، ط1 ، 1433-2012)، ص74
- ¹⁷ إبراهيم سعدي، الأعظم، ص317
- ¹⁸ فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، الجزائر، منشورات الاختلاف ، ط1، (1438-2016)، ص255
- ¹⁹ إبراهيم سعدي، الأعظم، ص91
- ²⁰ المصدر نفسه، ص102
- ²¹ المصدر نفسه، ص177
- ²² لونيس بن علي، الكتابة على أطراف النهر، ص138
- ²³ إبراهيم خليل، أساسيات الرواية، الأردن، دار فضاءات، ط1 (2015)، ص59
- ²⁴ إبراهيم سعدي، الأعظم، ص143

²⁵لونيس بن علي، الكتابة على أطراف النهر، ص137

²⁶إبراهيم سعي، الأعظم، ص144

²⁷المصدر نفسه، ص143